عرض كتاب: الفاعلون الهجينون: الجماعات المسلحة وتشرذم الدولة في الشرق الأوسط *

Hybrid Actors: Armed Groups and State Fragmentation in the Middle East

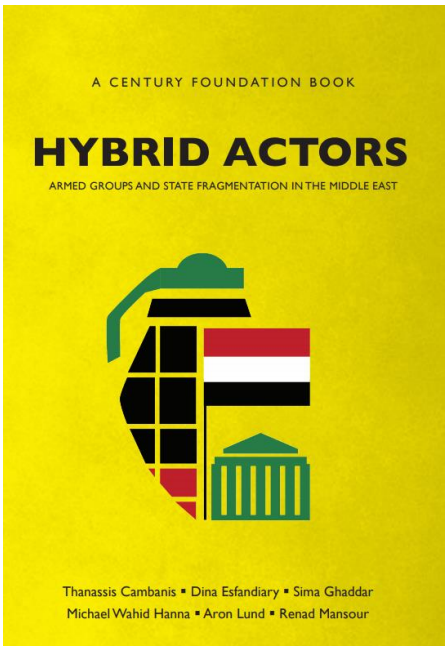

تأليف:

- **Thanassis Cambanis, Dina Esfandiary, Sima Ghaddar, Michael Wahid Hanna, Aron Lund and Renad Mansour.**

ترجمة وعرض: د باقر جواد كاظم

الفاعلون الهجينون مصطلح تم تداوله بصورة متنامية في الآونة الأخيرة، إذ أن الجماعات المسلحة المؤثرة تستمر في إرباك صانعي السياسات والدبلوماسيين والمحللين بعد عقود من وصولهم إلى الساحة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وهذه الجماعات هي جهات فاعلة مختلطة تعمل في نفس الوقت من خلال الدولة ومعها وضدها، ومن هنا يحدد هذا الكتاب الصادر عام **2019** عن مؤوسسة **The Century Foundation** الأمريكية، العوامل التي تجعل الجهات الفاعلة الهجينة ناجحة في دورها، وفقًا لمدى تأثيرها وقدرتها على إبراز قوتهم عسكريًا وسياسيًا، الى جانب عمرها الزمني، ووُجِد أن هناك ثلاثة عوامل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرتها على التأثير في التفاعلات المختلفة وهي: الولاء للجهة الداعمة، وعلاقتها المرنة مع دولتها، والآيديولوجية المتماسكة.

* إختارت مجلة شؤون خارجية **Foreign Affairs** هذا الكتاب ضمن أفضل الكتب على مستوى العالم لعام 2020.

وفي سبيل بيان ماهية هذه الجماعات ودورها وطبيعة تأثيرها في سياسات الدول الموجودة فيها، درس مؤلفو هذا الكتاب العديد من الجماعات الموجودة في (لبنان وسوريا والعراق وبعض الدول) ، بالإعتماد على سنوات من العمل الميداني ، للتمييز بين الجهات الفاعلة المختلطة، والفاعلين التقليديين من غير الدول ، والطامحين إلى إقامة دولة – وكلها تستحق معالجة تحليلية وسياسية مختلفة (على وفق وجهة نظر المؤلفين)، ويوضح الكتاب الطرق التي يمكن بها للفاعلين الهجينين كيفية التحول من خلال قدرتها على التكيف مع الظروف المتغير، وتأدية أدوار مهمة في دولها.

الكتاب ينطلق في دراسته للفاعلين الهجينين من خلال التأكيد على أن تفكك الدولة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (التي هي مجال دراسة هذا الكتاب) أصبح موضوع دراسة ملح بشكل متزايد، إذ أنتشر ما يسمى بالجهات الفاعلة غير الحكومية في جميع أنحاء المنطقة في العقدين الماضيين، من ليبيا إلى لبنان وسوريا والعراق واليمن وغيرها ، وهي جماعات متنوعة لا حصر لها لتتحدى الهيمنة الرسمية للدولة على إستخدام العنف المشروع بشكل مباشر، لذا فإن ظهور هذه المجموعات في منطقة تعاني من الأزمات والتوترات له أكثر من معنى يأتي في مقدمتها مواجهة الدولة لتحديات متعددة تثير التساؤلات حول أسبقيتها كوحدة سياسية.

وبسبب من الحقائق الجديدة للشرق الأوسط، فإن المصطلحات الحالية لتعريف هذه الجماعات لا يمكن لها أن تستوعب تأثير ومكانة هذه الجماعات، مما يفرز الحاجة الى مصطلحات وفئات أكثر دقة لتحديد معناها ووظيفتها بالنسبة لصانعي القرار، ولأولئك الذين يدرسون الصراع والجماعات المسلحة، خاصةً في المناطق التي تشهد تآكل سلطة الدولة، إذ تؤدي الحركات المسلحة دورًا إستثنائياً من مجرد كونها أذرع غامضة للدولة، حتى عندما تكون مصممة للعمل كما لو كانت مجموعات مستقلة، أو إعتبارها كوكلاء تقليديين للدولة وسياساتها المختلفة، أو بوصفها ميليشيات أنشأتها الحكومات الراعية لها وفقاً لأهداف تلك الدولة وسياساتها.

يختص هذا الكتاب بدراسة نوع محدد من الجماعات الهجينة التي توصف بكونها نوع من الجماعات المسلحة التي تعمل أحيانًا بالتنسيق مع الدولة وتتنافس معها أحيانًا، وتعتمد الجهات الفاعلة الهجينة على رعاية الدولة لها، وتستفيد من الأدوات والإمتيازات التي تمتلكها سلطة الدولة وتوفرها لها، لكنها في نفس الوقت تتمتع بالمرونة التي تأتي من كونها لا تعتبر (دولة) بالمعنى الحقيقي، لذا تسعى هذه الجهات الفاعلة الهجينة إلى تسخير بعض وليس كل مجالات سلطة الدولة والسيطرة عليها. وفي بعض الحالات لم تصل تلك الجماعات الى الدرجة التي معها تمتلك القدرة على إختراق الدولة وإنشاء إقطاعيات رسمية

داخل هندستها المعمارية، وتغلغلها في شؤون الحرب والدبلوماسية والسياسة والدعاية لدولتهم فحسب، بل والحصول كذلك على إمكانية إكتساب الزخم الجماهيري في دوائر إنتخابية متعددة داخل بلدانهم، وتوفير الخدمات والإرشاد الإيديولوجي، فضلاً عن توفير الأمن الى جانب الدولة، الى جانب حقيقة أن جميع الجهات الفاعلة الهجينة تقريبًا لديها بعض العلاقات مع راعٍ خارجي، إلا أنها أكثر من مجرد وكلاء لأولئك الرعاة، إذ إمتلكوا بسبب من هذه الميزات الإستثنائية بعض الحرية لاتخاذ سياساتهم وقراراتهم الخاصة.

ينقسم هذا الكتاب الى أربعة أجزاء تتناول بالتحليل المعمق والتفصيلي مفهوم الجماعات الهجينة ودورها في سياسات بلدانهم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، إذ يطور الجزء الأول مفهوم الفاعل الهجين بمزيد من التفصيل، بينما يقدم الجزء الثاني سبع دراسات حالة لمجموعات وحركات مسلحة في عدد من الدول (الحشد الشعبي العراقي ، حزب الله اللبناني ، قوات الدفاع الوطني السوري ، حركة أمل في لبنان، الأحزاب الكردية في العراق ، حركات الصحوة العراقية ، والحزب الإسلامي)، ويبحث الجزء الثالث دور الدولة في إنشاء وتطور الفاعلين الهجينين ورعايتهم، مع التركيز بشكل خاص على حالة إيران، التي تمتعت بنجاح فريد في الشراكة مع مثل هذه الجماعات، بينما يختتم الجزء الرابع من الكتاب بتوصيات حول كيفية استفادة صانعي السياسات من المفهوم الهجين لتعزيز سيادة القانون ، ودمج الجهات الفاعلة المختلطة في الأطر الحكومية وغيرها من الأطر المؤسسية والقانونية ، وتصميم استراتيجيات أكثر واقعية لدعم الدول الضعيفة في مناطق النزاع.

يحدد الكتاب بعض الشروط الرئيسية التي تميز الجماعات الهجينة الناجحة مثل (تنمية الدوائر الانتخابية، وتأمين العلاقات مع الدولة المضيفة، الدعم الخارجي الثابت) وهي كلها عوامل تحدد مدى نجاح أو فشل مثل هذه الجماعات وإكتسابها الأهمية الجيوسياسية ، مع الأخذ بنظر الإعتبار أن نشوءها كان ردًا على إخفاق الدولة في توفير الأمن أو الخدمات، رغم أن هناك العديد من الآراء التي ترى في دور هذه الجماعات بكونها تمثل عقبةً رئيسية أمام جهود الدولة لإعادة بسط سلطتها، مما يدفع لإعتبارها كأحد أعراض هشاشة الدولة وسوء الإدارة وانعدام الأمن، ومن هنا يعمد هذا الكتاب بأجزائه المتعددة إلى تعميق الفهم لهذه الجماعات وعلاقتها بالدول الضعيفة – وبالتالي إلقاء الضوء على خيارات السياسات التي ستجلب المزيد من السلام والاستقرار، خاصةً وأن الجماعات الهجينة وصلت الى مرحلة من النضج التي من خلالها إمتلكت دوراً مهماً ليس من خلال وظيفتها الامنية فحسب، بل ويتعداه الامر كذلك في صياغة شؤون السياسة والإقتصاد يصل بها في بعض الأحيان الى العمل بإستقلالية، ولها جمهورها الخاص وهوية أيديولوجية مميزة،

من الأمور المهمة التي يشدد عليها الكتاب هو أن الأطراف الفاعلة الهجينة قوية ولكن يصعب تحديدها؛ ونتيجة لذلك، غالبًا ما يتجاهلهم المحللون وصانعو السياسات أو يعتبرونهم بصورة خاطئة على أنهم ليسوا كذلك (ليسوا فاعلين هجينين)، من خلال إعتبارهم كمؤسسة حكومية أو جهات تقليدية تابعة للدولة، ومن ثم يتم يجب إعتبارهم لاعبون جُدد لا يمكن غض النظر عنهم في شؤون التفاعلات المختلفة، لاسيما وأن هناك العديد من الدول التي تدعم مثل هذه الجماعات خدمةً لأهداف وسياسات ذات صلة بمشاريعها الإقليمية والدولية، وفي الوقت الحاضر، هناك العديد من الأمثل على هذا الموضوع (سوريا، لبنان، اليمن، ليبيا)، إذ إنخرطت القوى المنافسة في المنطقة، بما في ذلك إسرائيل والولايات المتحدة والدول العربية في الخليج، مع الجماعات الهجينة، ومع ذلك تواجه هذه القوى المنافسة قيودًا هيكلية حدت أو قوضت من قدرتها على إقامة شراكات فعالة ومستدامة مع هذه الجماعات.

وأخيراً، سعى هذا الكتاب إلى إلقاء الضوء على الطرق التي يمكن من خلالها للفاعلين الهجينين التأثير في تحشيد أنماط قوة مختلفة داخل الدول التي يتواجدون فيها، وهذه الجهات الفاعلة التي عدَها (فاعلون هجينون) في شؤون المنطقة يبقون مجرد وكلاء أو مجموعات غير حكومية يتبعون دولاً معينة، وعملية فهم نهجهم المميز في العمل والتأثير من الخارج إلى الداخل تجاه الدولة هو أمر بالغ الأهمية لفهم علاقات القوة داخل الدول الضعيفة والطرق التي ينبغي بها من خلالها كيفية صياغة ردود الفعل تجاهها، ومن ثم هذا الكتاب يمثل محاولة جدية لتأصيل وفهم موضوع الفاعلين الهجينين ودورهم في التفاعلات الإقليمية والدولية.